المورد

مجلة تراثية فصلية
تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
الجمهورية العراقية

المجلد السادس عشر - العدد الثاني - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٢

دراسة تعبوية لمعارك ما بعد القادسية

القسم الاول

« معارك ما بين القادسية والمدائن »

مازن مجيد مصطفى

الموصل ـ الاعدادية المركزية للبنين

تمهيد :

لسنا من المغالين اذا ما قلنا ان العرب المسلمين سبقوا زمانهم في وضع الخطط ورسم الاساليب التعبوية لكثير من معاركهم العسكرية . وفاقوا غيرهم شوطا في جميع مظاهر التقدم التي شهدتها العصور الوسطى ، حتى ان الداني والقاصي يدرك فضل العرب المسلمين على امم المشرق والمغرب . وما نهضة اوروبا وتقدمها الا بفضل اللقمة السائغة التي قدمها العرب وانتقلت اليها عن طريق الاندلس وصقلية والحروب الصليبية .... فلا داعي للاستغراب اذا ما اكتشفنا في تفنن العربي المسلم في استعمال السيف شيئا من تفنن الانسان المعاصر في استخدام البندقية والحربة وليست هناك حاجة للدهشة اذا ما وجدنا من خيولهم « مركبات برمائية » يقتحمون بها السهل والصعب برا ونهرا. ولامجال للعجب اذا مالاحظنا في استخدام العرب للمنجنيق شيئا من براعة الانسان الحالي في استخدام المدافع . او اذا ما وجدنا في دراستهم لطبيعة ارض المعركة ، واثر الانواء الجوية على سيرها تقاربا ، بل وتطابقا في بعض الاحيان مع براعة الانسان المعاصر في مثل هذه الامور . ولسنا هنا ممن يحمل الامر فوق طاقته ، او يرسم لشخصيات تاريخية صورا يلونها كما يجب ويريد ، بل هي حقائق ملموسة يدركها كل من دخل المدرسة العسكرية العربية الاسلامية واطلع على علومها وادابها .... وفي دراستنا لبعض معارك العرب بعد القادسية التي هي موضوع هذا البحث سيتضح لنا بعض ماذكرنا ـ كما اتضح ذلك في دراسات سابقة ـ .

١ ـ فتح برس(*) :ـ

اقام سعد في القادسية شهرين ، ثم سار الى المدائن في اخر شوال ١٥ هـ/نوفمبر (تشرين الثاني)

(*) برس : بالضم ، موضع بارض بابل به اثار لبخت نصر ، وتل مفرط العلو يسمى صرح البرس ... [الحموي ـ ياقوت ـ معجم البلدان ـ مصر ـ ١٩٠٦ ـ (١٢٦/٢)] .

WWW.ATTAWEEL.COM

٦٣٦ م ؛ بعد ان ترك النساء والعيال بالعتيق(*) . تحت حراسة مشددة(١) . والواقع ان سعدا قبل تحركه من منطقة القادسية ، كان قد قدم في انطلائع السائرة نحو الامام انقائد (زهرة بن الحوية) الى منطقة اللسان « وهو لسان البر الذي ادلفه في الريف وتقع عليه الكوفة والحيرة ـ انظر الخارطة ـ والحق سعد بزهرة كلا من (عبدالله بن المعتم) و (شرحبيل بن السمط) و (هاشم بن عتبة)(*) الواحد تلو الاخر . وولى سعد هاشم بن عتبة عمل (خالد بن عرفطة)(*) وجعل خالدا على انساقة

(*) العتيق : لم اعثر له على مكان في كتب البلدان . والظاهر انه موقع في منطقة القادسية .

(١) الطبري ـ ابو جعفر محمد بن جرير ـ تاريخ الامم والملوك ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ ط ١ ـ (١٦٥/٥ ١٦٦) ، ابن الاثير ـ عز الدين ابي الحسن ـ الكامل في التاريخ ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ (٥٠٥/٢ ـ ٥٠٦) ، باشا ـ اللواء المصري محمد مختار ـ كتاب التوفيقات الالهامية ـ مصر ١٣١١هـ ـ ط ١ ـ ص٨ ـ ، كمال ـ احمد عادل ـ فتوح الشرق بعد القادسية ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ـ ط ٢ ـ ص ١٦ .

(*) عند الواقدي (زهرة بن الحويرث) وعند ابن خلدون (زهرة بن حياة وشرحبيل بن الصمت وعبدالله بن المعتم) [الواقدي ـ محمد بن عمر ـ فتوح الاسلام لبلاد العجم وخراسان ـ مصر ١٨٩١ ـ ص ٧) ، ابن خلدون ـ عبدالرحمن ـ العبر ودبوان المبتدا والخبر ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ (٩٢٥/٢)] .

(*) ينفرد البلاذري بالقول بان سعد وجه (خالد بن عرفطة) على مقدمته المتجهة لفتح المدائن بعد القادسية ، فلم يرد سعد حتى فتح خالد ساباط ... ويشير (خطاب) الى هذه الرواية ويضيف « وكان خالد مع سعد في فتح المدائن ، وبقي الى جانبه حتى ارتحل سعد الى الكوفة ، فارتحل خالد معه . » كما يشير (عماش) الى هذه الرواية ايضا ويقول بان سعد وضع تحت امرة خالد جميع القطعات التي كانت في الامام بين بابل والبرس . [البلاذري ـ احمد بن يحيى بن جابر ـ فتوح البلدان ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ـ (٣٢٢/٢) ، خطاب ـ اللواء الركن محمود شيت ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ القاهرة ـ بلا ـ ص ٢٧٢ ـ ، عماش ـ الفريق الركن صالح مهدي ـ من ذي قار الى القادسية ـ بغداد ـ ١٩٧٢ ـ ص ٢٠٢ ـ .] ويبدو لي ان خالد بن عرفطة كان قائدا لاحدى القطع العسكرية المتقدمة نحو المدائن قبل أن يرسل سعد زهرة وجماعته الذين عقبوه ، وبعد ان ارسل سعد زهرة ومن اعقبه على المقدمات ، غير التنظيم وغير الواقع فجعل هاشم بن عتبة محل خالد وجعل خالد على الساقة (المؤخرة) لسبب ما لا ندري ما هيته ، ولكن التغيير الذي ربما

ثم تقدم سعد فاعقبهم في السير ، وكان (النخير خان) معسكرا في منطقة (اللسان) على راس قوة عسكرية . فانهزم ولحق باصحابه(٢) وبعد ان وصلت مقدمة العرب المسلمين (برس) وعلى راسها زهرة بن الحوية وبقية القادة المذكورين لقيهم فيها (بصبهري) على راس قوة من الفرس فهزمه العرب المسلمون الى بابل ، حيث اجتمع فيها بقية قادة الفرس مثل (النخير خان ومهران الرازي والهرمزان) وغيرهم . وقد اعطوا (الفيرزان) قيادتهم العليا . ولكن (بصبهري) سقط في نهر مجاور ومات جراء طعنة كان قد وجهها اليه زهرة. واقبل (بسطام) دهقان (برس) بعد هزيمة (بصبهري) على مصالحة زهرة وقدم له المساعدة بنصبه الجسور بغية تسهيل مهمته عبور جيش العرب المسلمين الى بابل . كما قدم المساعدة ايضا بتزويده لزهرة بمعلومات قيمة عن الفرس الذين تجمعوا في بابل(٣) وليس من الغريب ان يقدم دهقان برس كل هذه المساعدات للعرب القاعدين ، لان اهل (برس) هم الذين غصبهم جنود (رستم) واعتدوا على نسائهم عند تحركه بجيشه الكبير من المدائن الى القادسية(٤) .

ب ـ فتح بابل :ـ

وارسل زهرة الى سعد يعرفه بما جرى في (برس) فتقدم سعد الى (الكوفة) ومنها الى (برس) ونظم جيشه من جديد فجعل على المقدمة زهرة ثم اعقبه بعبدالله وشرحبيل وهاشم ، وسار هو وراءهم فنزلوا على الفيرزان في (بابل) ـ انظر الخارطة ـ وكان الفرس قد تجمعوا في هذا المكان وعقدوا العزم على مقاتلة المسلمين يدا واحدة فقالوا « نقاتلهم دستا قبل ان نفترق » وهذا القول بذاته يحمل بين طياته كل معاني الهزيمة مقدما ؛ اذ يدل على انهم كانوا متوقعين التمزق والافتراق .

جرى كان لسبب اقتضته المصلحة العامة حتما . وقد اشترك خالد في فتوح المدائن ، ولكن الغريب ان الروايات التاريخية لم تذكر له سوى ما ذكرنا اعلاه ، وربما يعود السبب الى تغيير موقعه حيث لم يعد يشغل مركزا صداميا في عملية الاقتحام ، وانما اصبح مسؤولا عما يدور في المؤخرة .

(٢) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٥/٤) .

(٣) المصدر نفسه (١٦٦/٤) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٥٠٦/٢) .

(٤) كمال ـ المرجع نفسه ـ ص ١٦ .

فاقتتلوا وهزمهم العرب المسلمون « في اسرع من لفت الرداء » كما يقول الطبري ، فانطلقوا على وجوههم ، فسار الهرمزان نحو (الاحواز) وخرج الفيرزان نحو (نهاوند) وسار النخير خان ومهران الى المدائن بعد ان عبرا (بهر سير) وقطعا الجسر(٥) . واقام سعد ببابل . والواقع ان سبب هزيمة الفرس في معركة بابل ترجع الى الاستعدادات غير الجيدة ، والتي كان سببها ملاحقة العرب المسلمين لهم ، وعدم اتاحة الفرصة الكافية امامهم من اجل الاستعداد للمعركة والتنظيم لها ....(٦) .

ويعلق (الدوري) على معركة بابل الخاطفة التي انتهت بنصر المسلمين بصورة خاطفة « اسرع من لفت الرداء » بقوله « ولا عجب فروح النصر التي كان يقاتل بها الجندي العربي لم تتوفر في الجندي الفارسي ، والذي كان قادته يفكرون في طرق الهزيمة الى داخليه البلاد ، لا بل وفر الهرمزان من ميدان المعركة الى الاحواز ، كما فر النخير خان الى (بهر سير) وفيها عبر الى المدائن ، اما كبير القادة الفيرزان فقد فر الى نهاوند حيث فيها كنوز الملك فاستولى عليها . »(٧) وعلى الرغم مما حققه العرب المسلمون من نتائج ايجابية في معركة بابل فان للفريق الركن صالح مهدي عماش راي اخر ، اذ يرى في قيام سعد بمطاردة الفرس حتى بابل فقط بعد معركة القادسية . وعدم ملاحقتهم المباشرة من القادسية الى المدائن « خطأ عسكريا كبيرا » ارتكبه سعد ، فقد كان من الواجب في رايه (عماش) عدم اعطائهم الراحة بالدخول معهم الى المدائن ، او القضاء المبرم على الفلول المنسحبة بين القادسية والمدائن(٨) ، ولم يخطيء سعد . ولكن قواته يومذاك كانت قليلة نسبيا ومن الخطورة عليها انتشارها وتطوير خطوط مواصلاتها .

ويبدو لي ان اطلاق عبارة « خطأ عسكريا كبيرا » من قبل الاستاذ (عماش) على خطة سعد فيه نوع من القسوة لاسباب فيها :ـ

١ ـ ان الاستاذ (عماش) نفسه يبرر عمل سعد الذي اعتبره خطأ عسكريا بكثرة الغنائم التي لحقت بالجيش العربي الاسلامي في معركة القادسية ، الامر الذي دفع سعد الى الانتظار شهرين قبل التقدم الى المدائن ، حيث يمكن شفاء الجرحى خلال هذه المدة والاستفادة منهم في القتال القادم اولا ، ولكي يزيدوا عدد الجيش المتقدم ثانيا ، ولكي لا تبقى فصايا ادارية مهمة تشد سعدا الى الخلف عند تقدمه ثالثا ، فطالما وجد المبرر لينال الحجة .

٢ ـ من المفروض ان اعادة تنظيم الجيش بعد كل معركة امر ضروري جدا ، وخاصة اذا كانت المعركة حاسمة كالقادسية التي تكبد العرب فيها اكثر مما هو معهود لديهم في المعارك السابقة ، حوالي (٨٥٠٠) شهيدا ، رغم ان خسائر الفرس بلغت اضعاف هذا العدد (حوالي ٤٠ الف قتيل) ، وعملية اعادة التنظيم بكل ما فيها من ابعاد تحتاج الى وقت ليس بالقليل ، فسعد والحالة هذه لا يمكن ان يتحرك الى الامام الا بعد ان يعيد تنظيم جيشه .

٣ ـ ان سعدا لم يعط فرصة للعدو وبعد القادسية مباشرة ولحقه (قدم) رعبه ورواقه نحو اللسان وبرس بابل .. للاحقة العدو ، وبقي هو في القادسية شهرين اضطرارا . والواقع ان حصول العرب المسلمين على النصر في المعارك المتلاحقة التي سبقت معركة بابل (اللسان وبرس) دليل على تفويت الفرصة على العدو من ان يستجمع قوته ويسترد انفاسه .

٤ ـ قد يقال ان النتيجة كان من الممكن ان تكون اعمق ويقصم ظهر الجيش الفارسي نهائيا لو ان سعدا كان مع القوات المتقدمة الى اللسان وبرس ، حيث ستكون اعداد الجيش اكبر في مثل هذه الحالة . ولكن هذه النتيجة حصلت فعلا بعد معركة بابل فماذا حصل ؟ الواقع ان بقية القوات الفارسية تراجعت الى الخلف ـ كما سنرى ـ حتى عبرت الى المدائن ، ثم الى جلولاء ثم الى نهاوند والواقع ان معركة القادسية حطمت عنفوان الجيش الفارسي ، اما عملية تراجع الفرس الى الوراء كلما تضايقوا فهو تحصيل حاصل طالما ان جماعتهم لا تزال قائمة ، وطالما تتيح لهم الارض عملية الانسحاب . وتتوفر الموانع الطبيعية التي تعيق تقدم العرب المسلمين ، وهذا سيجعلهم يقاتلون حتى النفس الاخير . ويبدو لي ان الانكسار النفسي اصاب

---

(٥) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤/١٦٦) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه (٢/٥٠٦) .

(٦) العسلي ـ بسام ـ فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والامويين ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ـ ط ١ ـ ص ٢٢٣ .

(٧) الدوري ـ محمود ـ تاريخ العرب العسكري ـ بيروت ـ ١٩٦٤ ـ ط ١ ـ ص ٢٨٤ .

(٨) عماش ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٠١ .

قوات الفرس بعد القادسية تماما ؛ ولكن الانهيار الاخير ما كان ليتم الا بضربة قاصمة تقع في عقر دارهم . وهذا ما حدث فعلا في معركة نهاوند (فتح الفتوح) اذ رغم الخسائر المتلاحقة على ارض العراق كان الامل دائما يراودهم في استرجاع ماخسروه . فالمسالة كانت مسالة وقت ؛ فطالما كان هناك امل للفرس في تجميع القوة داخل بلادهم كان امر انسحابهم عند الحرج واردا . ولكن انسحاب الفرس الى الخلف بعد القادسية كان باهض الثمن ؛ لانه كان تراجعا اضطراريا بعد معركة خاسرة ويوضح (كلاوزفيتز ؛ ماينطبق على مثل حالة تراجع الفرس هذه بقوله « ومن ناحية اخرى يتعرض المدافع المضطر الى التراجع بعد معركة خاسرة الى خسائر اكبر بكثير من المدافع الذي يقاتل قتالا تراجميا باختياره وارادته ؛ لانه حتى لو كانت المقاومة اليومية التي مازال قادرا على القيام بها امام خصمه الذي يطارده ، مساوية لمقاومته في حالة التراجع الارادي ؛ فانه يتعرض على الاقل للنسبة ذاتها من الخسائر يضاف اليها خسائر المعركة ذاتها ؛ وهو احتمال يتعارض تعارضا تاما ومطالب عملية التراجع . فعندما يضطر جيش من الجيوش؛ حتى ولو كان من افضل الجيوش في العالم الى الانسحاب الى قلب البلاد بعد معركة خاسرة فانه يتعرض بتاثير الانسحاب الى خسائر لا تتناسب ابدا مع عملية التراجع . »(٩) .

وهكذا يلاحظ ان الفرس تعرضوا نتيجة تراجعهم الاضطراري بعد القادسية الى خسارة كبيرة ، وحتى اذا اعتبر الفرس تراجعهم الى داخلية بلادهم تراجعا ارادبا كشكل من اشكال الدفاع غير المباشر لجذب قوات العرب المسلمين بغية انهيارها تحت وطاة الانهاك لا بقوة السلاح فانهم مخطئون ، اذ في مثل هذه الحالة « لانفكر بمعركة رئيسية نخوضها لقهر العدو ، اولا نفكر فيها على الاقل قبل مرور وقت طويل تضعف قواته خلاله الى حد كبير »(١٠) . وقد فوت العرب المسلمون الفرصة على الفرس في هذا المجال فلم يسمحوا لهم بالوقت الطويل الذي كانوا يحتاجونه ؛ كما انهم لم يسمحوا لهم بالوصول الى غايتهم من ذلك وهي ضعف قوات المسلمين ، حيث ان قطار سعد استمر في التقدم على شكل ارتال يعقب احدها الاخر ، وكانت قوة هذه الارتال تتعزز وتزداد يوما بعد يوم . وهذا ماتفسره الهزائم المتلاحقة للفرس بعد معركة القادسية ـ كما لاحظنا وكما سنرى ـ

(٩) كلاوزفيتز ـ الجنرال كارل فون ـ الوجيز في الحرب ـ ترجمة اكرم ديري والهيثم الايوبي ـ بيروت ـ ١٩٧٤ ـ ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(١٠) المصدر نفسه ـ ص ٢٦٩ .

ج ـ فتح سورا ـ الدير ـ كوثى ـ (*)

واقام سعد في بابل بعد تحريرها ، وبعد ان تقدم القوم في مطاردة الفرس وقتلوا بعض قوادهم قام زهرة باجتياز (سورا) واقام حيث اعقبه سعد وهاشم ، ثم تقدم زهرة نحو الفرس الذين كانوا قد نزلوا بين الدير وكوثى) ـ انظر الخارطة ـ وكان النخيرخان ومهران قد استخلفا على جنودهما (شهر يار) فنازله زهرة(*) وخرج شهر يار يطلب المبارزة قائلا « الا فارس منكم شديد عظيم يخرج الي حتى انكل به ! ؟ » فاجابه زهرة وقال « لقد اردت ان ابارزك ؛ فاما اذ سمعت قولك فانى لا اخرج اليك الا عبدا ، فان اقمت له قتلك ـ إن شاء الله ـ ببغيك ، وان فررت منه فانما فررت من عبد » فامر زهرة (نباته نائل بن جشمم الاعرجي) وكان من شجعان بني تميم بملاقاته . وكان كلا الاثنين قوي البنية ، الا ان شهريار كان « مثل الجمل » على ما يصفه الطبري ، وقد القى كل منهما رمحه ليعتنق (ليصارع) الاخر ، ثم انتضيا سيفيهما واجتلدا ؛ ثم اعتنقا ـ تصارعا بالايدي ـ فسقطا عند دابتيهما، واستمرا يتصارعان حتى قتله (نائل)

(*) سورا : (عند الطبري سورا ، وعند ابن الاثير سوراء) موضع بالعراق من ارض بابل ، وهي مدينة السريانيين ... راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٦٨/٥) .

الدير : [او دير كعب ، كما يسميها البلاذري (٢٢٢/٢)] لم اعثر لها على موقع في كتب البلدان ، والظاهر انها موقع صغير بين بابل وكوثى .

كوثى : ... موضع لسواد العراق بين ارض بابل ، وموضع آخر بمكة ، وهو منزل بني عبدالدار ... وكوثى العراق كوثيان ، احدهما كوثى الطريق والاخرى كوثى ربى ، وبها مشهد ابراهيم الخليل (ع) وبها مولده وهما من ارض بابل ، وبها طرح ابراهيم الخليل في النار ، وهما ناحيتان ... معجم البلدان (٢٩١/٧) .

(*) يذكر البلاذري ان المسلمين بعد ان جاوزوا دير كعب لقيهم (النخيرخان) ... فاقتتلوا واستطاع (زهير بن سليم الازدي) ان يقتل النخيرخان بخنجره (خنجر النخيرخان) [البلاذري (٢٢٢/٢)] وهذا على عكس ما يرويه الطبري وابن الاثير من ان النخيرخان ومهران فرا بعد معركة بابل ، فعبرا (بهرسير) الى المدائن وقطعا الجسر ـ كما اسلفنا ـ .

بطعنات خنجره الذي اخذه منه بعد ان صرعه على الارض ..... واقام زهرة بكوئى حتى قدم عليه سعد ... ثم اقام سعد بكوئى اياما وزار مجلس وبيت ابراهيم الخليل (ع)(١١) .

د ـ فتح ساباط :ـ

وارسل سعد زهرة للتقدم من كوثى الى (بهر سير) ، فحظي زهرة في الطليعة فتلقاه (شيرزاد) دهقان (ساباط) بالصلح ، فارسله زهرة الى سعد فصالحه على تادية الجزية(١٢) . وارسل على اثرخروجه ميمنته وميسرته، ثم اعقبهما بهاشم بن عتبة وخرج هو (سعد) على اثره . وحول منطقة تعرف باسم (المظلم) بضواحي ساباط التقى زهرة بكتيبة فارسية تحمل اسم (بوران) بنت كسرى ، ويوحي اسمها وصنفها بانها كانت من قوات الحرس الملكي التي القى بها الفرس في المعركة كاخر سهم بقي لديهم متخذين منها موضعا دفاعيا اماميا لحماية بهر سير ، ورغم ان رجال هذه الكتيبة « كانوا يحلفون كل يوم ان لا يزول ملك فارس ما عشنا » استطاع زهرة ان يهزمها شر هزيمة ، كما ان هاشم بن عتبة استطاع قتل (المقرط) وهو اسد كان كسرى قد رباه حتى عظم شره فارسلته قوات الاميرة كي يتحدى العرب(١٣) ...

وبهذا الخصوص نود ان نشير الى قضية هامة ، وهي استعصاء فهم بعض الامور في تاريخنا على البعض من المستشرقين ، ففي هذا المجال مثلا يشير (السير وليم ميور The Caliphate في كتابه الخلافة (Muir, Sir William الى ان سعدا في طريقه لمحاصرة سلوقية (بهر سير) هوجم من قبل « الملكة الام » وان هذه الملكة « مدفوعة بالروح القديمة لابناء جنسها ؛ وبالايمان العظيم بان الامبراطورية لا تقهر طالما سلمت العائلة المالكة » نزلت بجيشها الى ميدان الحرب تحت قيادة اللواء المحنك « اسد كسرى » فانهزمت بصورة تامة « وقتل بطلها على يد هاشم » ثم يعود ميور بعد ذلك مباشرة ليذكر بان المراة اميرة Princess (١٤) .

والامور التي تغيرت عن النص الاصلي كما ورد عند المؤرخين الرواد واضحة تماما في هذا النص اورده (ميور Muir) فالكتيبة الفارسية التي كانت «تحمل» اسم بوران بنت كسرى اصبحت « بقيادة وتوجيه الملكة او الاميرة التي نزلت الى ميدان الحرب » و « بوران بنت كسرى » اصبحت « الملكة الام » تارة « والاميرة » تارة اخرى. واصبحت هي « المدفوعة بالروح القديمة لابناء جنسها ؛ وبالايمان العظيم بان الامبراطورية لاتقهر طالما سلمت العائلة المالكة » علما بان النص الاصلي ـ في الطبري وابن الاثير ـ يقول « وكانوا يحلفون كل يوم ان لا يزول ملك فارس ماعشنا » مشيرا بذلك الى جنود الكتيبة الفارسية او قوادها . كما ان (المقرط) وهو اسد كسرى الذي رباه ودربه ـ كما يشير الى ذلك ابن الاثير بوضوح تام ـ وارسله لتحدي العرب ، اصبح عند Muir في نصه هذا « قائد كتيبة الملكة » « اللواء المحنك » « اسد كسرى » الذي قتله هاشم .

وبعد ان انهت قوات العرب هذا العمل ارسل سعد هاشما في المقدمة الى (بهر سير) فنزل هاشم الى (المظلم) وقرا (او لم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال . » ثم تقدم الى بهر سير ، ووصلها بعد ذلك سعد ومن معه من المسلمين(١٥) ـ انظر الخارطة ـ وهكذا نجد ان الفرس كانوا مستمرين في تراجعهم منذ ان خسروا معركة القادسية ، ولكن تراجعهم ، كما سبق وذكرنا لم يكن في صالحهم ، اذ انه من نوع التراجع الاضطراري غير المنتظم ، ويكاد قول طه الهاشمي ينطق على حالة التراجع هذه اذ يقول « وليس اتكى على القوات المنسحبة من ان تنسحب في طرق متقاربة للاجتماع في موضع

---

(١١) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤/١٦٦-١٦٧) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢/٥٠٦-٥٠٧) ، كمال ـ احمد عادل ـ سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية ـ بيروت ـ ١٩٨١ ـ ط ٢ ـ ص ١٧ ـ ١٩ ـ .

(١٢) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (٤/١٦٧ ـ ١٦٨) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢/٥٠٨) ابن خلدون ـ المصدر نفسه ـ (٢/٩٣٦) .

(١٣) الطبري ـ المصدر نفسه (٤/١٦٧) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه (٢/٥٠٨) ـ الدرة ـ المصدر نفسه ـ ص ٢٨٤ ـ كمال ـ فتوح الشرق ـ ص ٢٣ ـ .

(١٤) Muir - Sir William - The Caliphate - Its Rise, Decline and Fall - Beirut- 1963 - P - 126

(١٥) الطبري ـ المصدر نفسه . (٤/١٦٧) ـ ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٢/٥٠٨) .

معين ؛ فانها تمكن (العدو) من الاطاحة بها واسرها. والاجدر بها ان تنسحب في طرق متباعدة لتجعل (العدو) المطارد تنقسم وتتباعد اقسامه ؛ فتستفيد من انقسامه ؛ وتعيد الكرة عليه عندما تسنح الفرصة ، ويسهل على الاقسام المنسحبة مساعدة بعضها البعض اذا سارت في طرق متباعدة اكثر من مساعدتها عندما تسير في طرق متقاربة »(١٦) .

لقد اغارت خيول سعد بعد ان نزل (بهر سير) على من ليس له عهد ولا ذمة من غير المسلمين فيما بين دجلة والفرات ؛ فاسرت مائة الف فلاح .... وعندما ارسل سعد الى عمر بن الخطاب (رض) يسأله الرأي في هؤلاء الفلاحين اجابه عمر « ان من اتاكم ، من الفلاحين مقيمين لم يعينوا عليكم فهو امانهم ؛ ومن هرب فادركتموه فشأنكم به » فصرفهم سعد الى قراهم ، وارسل سعد الى الدهاطين فدعاهم الى الاسلام او الجزية ولهم الذمة والمنعة (الحماية) فتمسكوا بالجزية والمنعة .... « فلم يبق غربي دجلة الى ارض العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام . » ودفعوا الخراج الى سعد فقبله منهم .(١٧) .

هـ ـ حصار (بهر سير)(★) : ذو الحجة ١٥ هـ ـ صفر ١٦ هـ/يناير (كانون الثاني) ٦٣٧ م ـ مارس (اذار) ٦٣٧ م

١ ـ مدة الحصار :ـ

اقام العرب المسلمون على (بهر سير) شهرين او « شهرين وعبروا في الثالث » حسبما يروي

---

(١٦) الهاشمي ـ الزعيم طه ـ الجغرافية العسكرية ـ بغداد ـ ١٩٢٧ ـ ط ١ ـ (١٤٠/١) .

(١٧) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٨/٤) .

(★) تضطرب الروايات التاريخية عند ذكرها لمجموعة مدن (المدائن) آنسبة فبينما يسمي ابن الاثير (بهرسير) بـ (المدائن العتيقة) يرى لسترنج معتمداً على اليعقوبي ان (طيسفون ـ المدائن ـ) هي (المدينة العتيقة) وتتفق تسمية ابن الاثير مع ما يذكره (كلوب [illegible] من ان (بهرسير) ـ سلوقية ـ هي المدينة الاقدم من طيسفون ، حيث بناها فاند الاسكندر المكدوني (سلوقس نيكيتو عام ٣١٢ ق.م. بينما بنيت (طيسفون) بعد مائتي عام .

ويكاد يتفق الطبري وابن الاثير على تسمية بهرسير بـ (المدائن او المدينة الدنيا) وتسميته (المدائن ـ طيسفون ـ) بـ (المدائن القصوى) وعلى ان بهرسير تقع غربي دجلة بينما تقع المدائن القصوى شرقيه ، ويتفق معهم على هذا الموقع ياقوت الحموي والبلاذري .

ويشير (كريستنسن) الى ان مدينة (ويه اردشير) هي (سلوقية) نفسها [وانها سميت بذلك لان اردشير الاول أعاد بناء جزء منها . ومعنى ويه اردشير (اردشير الطيب) بالبهلوية او (بيت اردشير) بالارامية القديمة] . ويستشف من كلام (كلوب Gulbb ان سلوقية هي (بهرسير) نفسها ، فبذلك تكون (ويه اردشير) هي (سلوقية) او (بهرسير) . وهذا ما توصل اليه (كمال) ايضاً [بهرسير = ويه اردشير] . ولكن كمال جعل (في الخرائط التي اوردها في كتابيه) موقع بهر سير جنوبي سلوقية بمسافة ليست قليلة ، واكد ذلك في كتابه (فتوح الشرق بعد القادسية ، وبما أعاده في كتابه الاخر (سقوط المدائن) بالقول ان (بهرسير) تقابل المدائن على نهر دجلة ، وتقع في انحناءة النهر الى الجنوب منها ، واعتقد ان رغبة (كمال) في القول بان سعد عبر من جنوبي (سلوقية) (بهرسير) الى المدائن هو الذي ولد هذا الالتباس وجعل بهرسير تظهر وكأنها مدينة اخرى تقع جنوبي سلوقية .

وينفرد (عماش) في القول بان (بهرسير) هي في سلوقية ، وانها وسلوقية التي جعلها (الرومية) تقعان شرقي النهر !! علماً بانه يذكر (الرومية) قبل ذلك على انها مدينة تقع غربي النهر قرب (ساباط) ، ويشير الى ان جيش العرب المسلمين تقدم اليها قبل عملية العبور ، وهو الامر الذي يرويه البلاذري ، ويخالفهم فيه اليعقوبي ولسترنج حيث يرون ان الرومية تقع شرقي النهر . والواقع ان سلوقية او (ويه اردشير) التي اطلق عليها العرب (بهرسير) او (المدائن او المدائن الدنيا) كانت تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة وهي التي تقدم العرب لحصارها ، ثم عبروا الى (المدائن القصوى) ـ طيسفون ـ المقابلة لها تماما ، ومما يعزز هذا الراي ، ان معظم المؤرخين الرواد والبلدانيين ومن نقل عنهم من العرب والاجانب يشيرون الى وجود جسر يربط بين (المدائن او المدينة الدنيا) و (المدائن القصوى ـ طيسفون ـ) قطعه الفرس عندما تقدم العرب للعبور من المدائن الدنيا الى المدائن القصوى ، وربما ان قول بعض المؤرخين الرواد بان سعداً بحث عن موقع مناسب للعبور ، لا بل وجده عند قرية الصيادين ـ كما يشير البلاذري ـ هو الذي جعل البعض يتحرر في تعيين موقع العبور ، ولكن هذا لا يمنع من ان المدينة المحاصرة على الجانب الغربي هي نفس المدينة [البلاذري ـ المصدر نفسه ـ (معجم اماكن الفتوح ـ ص ٦٩٦) ، الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٧٠/٤) ، الاصطخري ـ ابو اسحق ابراهيم بن محمد ـ مسالك الممالك ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٩٢٧ ـ ص ٧٨ ـ ، اليعقوبي ـ احمد بن ابي يعقوب ابن واضح الكاتب ـ البلدان ـ ضمن كتاب الاعلاق النفسية لابن رستة ـ ليدن ـ ١٨٩١ ـ (٢٢٠/٧ ـ ٢٢١) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه (٥٠٨/٢ـ٥٠٩ ـ ٥١١ ـ) ، الحموي ـ المصدر نفسه ـ (٣١٢/٢ ـ

الطبري(١٨) . ويؤكد ابن خلدون رواية الطبري هذه فيقول « فحاصروها ثلاثة اشهر ثم اقتحموها »(١٩) . ولكن البلاذري يشير الى ان اقامة سعد على مدينة بهر سير كانت « تسعة اشهر ، ويقال ثمانية عشر شهرا حتى اكلوا الرطب مرتين ، وكان اهل تلك المدينة يقاتلونهم فاذا تحاجزوا دخلوها . »(٢٠) . وينقل ياقوت الحموي عن كتاب الفتوح (واعتقد انه فتوح البلدان للبلاذري) ان سعدا اقام على بهر سير « تسعة اشهر ، وقيل ثمانية ، حتى اكلوا الرطب مرتين .... »(٢١) . والظاهر ان ياقوت اخطأ في هذا المجال فنقل ثمانية اشهر بدلا من ثمانية عشر شهرا ، او ان كلمة (عشر) سقطت اثناء الطبع . ويصل الامر الى اكثر من ذلك عند الدينوري حيث يقول « واقبل المسلمون حتى نزلوا على شط دجلة بازاء المدائن ، فعسكروا هناك واقاموا فيه ثمانية وعشرين شهرا ، حتى اكلوا الرطب مرتين وضحوا اضحيتين .... »(٢٢) .

ويبدو لي ان تغييرا حصل على مدة الحصار نتيجة عملية نقل الاخبار بين العرب او المؤرخين العرب احدهم عن الاخر . واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ظروف الحصار انذاك ـ كما سنرى ـ نستطيع القول ان تدبير عملية الحصار ، والحصول على ادوات الرمي (المنجنيقات) بما في ذلك مدة صناعتها ، لان العرب حصلوا عليها من اهل المنطقة، اضافة الى ما يذكره المؤرخون من ان جدران المدينة كانت من اللبن المحروق بشعاع الشمس والذي لاتؤثر فيه قذائف المنجنيقات . ثم ما قام به سعد اثناء حصاره للمدينة من ارسال خيوله لتغير على من لا عهد له ولا ذمة من غير المسلمين فيما بين دجلة والفرات (ربما للتعويض عن الزمن الضائع في عملية الحصار) . ثم ما كانت تحصل عليه المدينة من امدادات مستمرة من (طيسفون) الواقعة تجاهها على الجانب الاخر من النهر . زيادة الى ما يشير اليه (الدرة) من ان حصار بهر سير ربما كان عملية مدبرة من الفرس يراد بها كسب الوقت لاخلاء العاصمة الشرقية ، فعندما تم لهم ما ارادوا قاموا بالانسحاب من الضفة الغربية بالتدريج .(٢٣) . نستطيع القول بان كل هذه الامور تجعلنا نرى ان مدة حصار المدينة لشهرين فقط قليلة في مثل الظروف التي ذكرناها ، وان الفترة مابين الثلاثة اشهر والتسعة اشهر هي فترة مقبولة الى حد ما في ظروف ذلك الزمان . كما ان فترة الثمانية عشر او الثمانية والعشرين شهرا هي فترة مبالغ فيها نوعا ما . رغم ان ماذكره البلاذري والدينوري من ان العرب « اكلوا الرطب مرتين » خلال عملية الحصار يجعل مدة الثمانية والعشرين شهرا هي الراجحة عند الحساب !! .

٢ ـ عملية الحصار :ـ

ومهما يكن من امر فقد اقام سعد على بهر سير المحصنة بالخنادق والحرس والاسوار ، وبعث اليهم سلمان الفارسي ، فدعاهم الى الله عز وجل او الجزية او المقاتلة ، فابوا الا المقاتلة والعصيان . »(٢٤) فقاتلهم سعد واستعمل لاول مرة في حرب العراق الاسلحة الثقيلة ، فامر (شهرزاد) بان يصنع له المناجيق . فصنع له عشرون منجنيقا نصبها حول المدينة ، واخذ يرميهم بها وبالعرادات (من ادوات حصار الحصون وهي اصغر من المنجنيق) ويدب اليهم بالدبابات ويقاتلهم بكل انواع الاسلحة(٢٥) .

والظاهر ان حصار بهر سير (المدائن الدنيا) كان عملية عسكرية شاقة بالنسبة للعرب والفرس . حيث اقام الفرس خطا دفاعيا على شكل نصف

---

٢١٤) ، لسترنج ـ بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة وتعليق بشير فرنسيس وكوركيس عواد ـ بغداد ـ ١٩٥٤ ـ ص ٥١ـ٥٢ ، كريستنسن ـ ارثر ـ ايران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحي الخشاب ـ مراجعة عبدالوهاب عزام ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ ـ ص ٣٦٨ ـ ٣٦٩ ـ ٣٧١ ـ ٣٧٣ ، كمال ـ فتوح الشرق ـ ص٢٤ ، سقوط المدائن ـ ص ٢١ ـ ، عماش ... المرجع نفسه ص ٢٠٢ ، ٢٠٩

Gibb - Lieutenant General, Sir John Bagot - The Great Arab Conquest- London - 1963 - P- 201.

(١٨) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٧/٤ ـ ١٦٨ ـ ١٧٠) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٥٠٩/٢) ، باشا ـ المرجع نفسه ـ ص ٨ ـ .

(١٩) ابن خلدون ـ المصدر نفسه ـ (٩٣٦/٢) .

(٢٠) البلاذري ـ المصدر نفسه ـ (٣٢٢/٢) .

(٢١) الحموي ـ المصدر نفسه ـ (٢١٤/٢) .

(٢٢) الدينوري ـ ابو حنيفة احمد بن داؤد ـ الاخبار الطوال ـ القاهرة ١٩٦٠ ـ ط ١ ـ ص ١٢٦ ـ .

(٢٣) الدرة ـ المصدر نفسه ـ ص ٢٨٥ ـ .

(٢٤) ابن كثير ـ عماد الدين ابو الفدا ـ البداية والنهاية ـ مصر ـ ١٩٢٣ (٦٣/٧) .

(٢٥) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٨/٤) .

دائـرة تستند فيهـا التحصينات من الشـمال والجنوب على نهر دجلة ويرابط فيها جيش فارسي قوي ، ولم يكن للعرب الاستعداد الكافي لاختراق مثل هذا الجدار الحصين اول الامر فاضطروا الى محاصرة المدينـة ... وفرضـوا عليها حصـارا اقتصاديا اضطر معه المحاصـرون على اكـل لحوم الكلاب والقطط ...(٢٦) . ويعكس (ميور Muir وجهة النظر هـذه فيشير الى ان الجيش العربي فرض حصارا صارما حتى تدهور المحاصرون الى اقصى درجات العسر . حيث بقي الجيش رابضا امام المدينة لمدة اشهر ؛ ثم يشير في الوقت ذاته الى شـدة مقاومة المدينة فيقول بان رمي اسوار المدينة بالمنجنيقات لم يحدث تاثيرا في اسوار اللبن المحروق بشعاع الشمس .(٢٧) .

ويتحدث (كلوب Gulbb) عن امر الحصار كعادته دائما ـ مشككا بقابلية العرب القتاليـة فيقول : لقد فرض العرب المسلمون على المدينة « حصارا مشكوكا في امر نجاحه » لان احد جوانب المدينة الممتـد على ضفة نهر دجلـة كان مفتوحا لوصول الامدادات والمساعدات من طيسفون الواقعة على الجانب الاخر(٢٨) . وربما لم يكن للعـرب الاستعداد الكافي لاقتحام المدينة اول الامر ، ولكن ليس معنى هذا الشك في امر نجاح الحصار ذلك الشك الذي ربما يدفع الى احباط الهمم ، او يوحي بان النصر اتى لاسباب لا علاقة لها بقابلية العرب القتالية . والدليل على هـذا ان العرب اوجدوا الاستعداد الكافي بعد ان لم يكن موجودا . وحولوا الشك الى يقين . ورغم ما يمكن ان يقـال من ان عملية حصار بهر سير كانت صعبة على العرب لانهم لم يعتادوا العيش في مدن مسورة او محاصرة مدن مسورة . يمكن القول بانهم دخلوا مثل هذه التجربة منذ عهد الرسول (ص) حيث قاتلوا في المدينة وهي محصنة بالخندق وباشارة من (سلمان الفارسي) ، كمـا قاتلوا اليهـود في حصون خيبر ونجحوا في اقتحامها عليهم . كما نجحوا خلال نفس الفترة التي نحن بصددها تقريبا في اقتحام اسوار دمشق ... فبعد كل هذه التجارب كان لابد للعرب ان يجدوا الاستعداد الكافي بغية اقتحام المدينة رغم تحصينها المنيع .

(٢٦) الدرة ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٨٥ ـ .
(٢٧) Muir - Op. Cit. P. 127.
(٢٨) Gulbb Op. Cit. P. 201.

ويبدو ان العرب لجأوا الى استعمال كـل اقانين الحرب التي تحط من عزيمة العدو ومنهـا الحرب النفسية ، حيث ان سلمان الفارسي ـ رائد الجيش الاسلامي ـ قام بدور خطير في تثبيط همم المحاصـرين بدعايتـه التي كان يبثهـا من وراء الحصون .(٢٩) واستمر العرب في عملية الحصار ؛ وربما كان الاعاجم يخرجون من حصونهم مدججي السلاح فيندفعون الى السدود المشرفة على نهـر دجلة بغية مقاتلـة المسلمين فـلا يحققون شـيئا فيرتدون الى حصونهم ، وكان اخر مرة خرجوا بها مشاة ورماة سهام قد تبايعوا على الصبر والثبات ، فردهم المسلمون الى حصونهم خائبين .

٣ ـ ايمان وتكرات ذات : ـ

وكان على زهرة بن الحوية في ذلك اليوم درع مفصومة (مكسورة او مخروقة) فقيل له « لـو امرت بهذا الفصم فسرد ؟ »

قال « ولم »

قالوا « نخاف عليك منه »

قال « اني كريم على الله ان ترك سهم فارس الجند كله ثم اتاني من هذا الفصم حتى يثبت في ! » .

وهكذا قدر زهرة ان امكانية اصابته من هذا الخرق الذي فيه درعه امكانية بعيدة الاحتمال ، ولو تمت لكان استشهاده بهذا الشكل فضل مـن الله عليه . ويبدو ان الله من على زهرة فقد كان زهرة اول رجـل اصيب يومها بنشـابة ثبتت في جسمه من خلال ذلك الخرق .

فقال بعضهم « انزعوها عنه » .

قال « دعوني فان نفسي معي مادامت في لعلي ان اصيب منهم بطعنة او ضربة او خطوة » ثم مضى نحو العدو فضرب بسيفه (شهر براز)(*) من اهل اصطخر فقتله ، ويشـير الطبري الى انه قتل في هـذه المحاولـة فيقـول « واحيط به فقتـل وانكشفوا(*) » . وينقل ابن الاثير ما اورده الطبري الا انه يضيف « وقيل : ان زهرة عاش الى ايـام الحجاج فقتله شبيب الخارجي ... » . اماابن خلدون فلم يتعرض لقضية دخول السهم في جسم زهرة ، ويشـير الى ان احد المرازبة خرج يطلب

(٢٩) الدرة ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٨٥ ـ .
(*) عند ابن الاثير (شهريار) .

البراز ؛ فقاتله زهرة « فقتلا معا » ويميد القول بان هناك من يقول بان زهرة قتله شبيب الخارجي ايام الحجاج . (*).

وعلى اية حال يمكننا ان نعتبر زهرة من المع قادة الفتح العربي الاسلامي خاصة عندما يتولى قياد ةالطلائع وقوات المطاردة ، ففي اشغاله لهذه الواجبات نجح نجاحا منقطع النظير ؛ ولهذا اختاره سعد لقيادة المقدمات ، ومطاردة العدو ومنذ بداية معارك تحرير ما بين القادسية والمدائن وحتى نهايتها . « وعند تطبيق اعماله العسكرية على مبادىء الحرب نجد انه (يختار مقصده ويديمه) وكان مقصده دائما القضاء بنفسه على قائد العدو لتتفرق قطعاته عنه ... » .

والواقع ان زهرة كان يطبق هذا المبدأ دائما سواء بتحمله هو مسؤولية القضاء على قائد العدو ام تكليف من يجد فيه كفاءة للقيام بهذه المهمة حسبما تقتضي الظروف . وهذا ما لاحظناه عند قيامه بطعن القائد الفارسي (بصهبري) في معركة (برس) تلك الطعنة التي سقط جراءها في النهر وهو في طريق فراره الى بابل كما وجدنا ذلك ايضا في تكليفه (ابو نباتة نائل بن خشعم الاعرجي) بمنازلة قائد الفرس (شهر بار) . وحتى وهو مصاب بسهم في جسمه وفي لحظات اقرب ماتكون الى الموت هجم بسيفه على (شهر براز) وقتله .

٤ ـ استسلام .... ثم سلام :ـ

واشتد الحصار على اهل بهر سير حتى وصل الامر بهم الى حد اكل لحوم القطط والكلاب ـ كما ذكرنا ـ وبينما هم على هذه الحالة اذ وصل الى العرب رسول ملك الفرس فقال للعرب : ان الملك يعرض عليكم المصالحة « على ان لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ؛ ولكم ما يليكم من دجلة الى جبلكم ... » ومعنى هذا ان تكون البلاد الواقعة الى غربي نهر دجلة للعرب ، وتحتفظ الفرس بالبلاد الواقعة شرقي نهر دجلة ؛ وان يكون النهر حدا فاصلا بين الدولتين . فتقدم اليه (ابو مفرز الاسود بن قحطبة) وقد انطقه الله تعالى بمالا يدري ثم عاد الرجل الفارسي . وبعد عودته مباشرة قام الفرس بترك مدينة (بهر سير) وعبروا الى المدائن الشرقية التي فيها الايوان ، فسأل سعد والبعض من مقاتلي العرب (ابو مفرز) عما قال للرجل رسول الملك الفارسي فاجاب « والذي بعث محمدا بالحق ما ادري ما هو ، الا ان علي سكينة ؛ وانا ارجو ان اكون قد انطقت بالذي هو خير » ... ونادى سعد بالناس فهجموا على المدينة . ولكن احدا لم يخرج لمجابهة العرب المسلمين سوى رجل نادى بالامان فامنه المسلمون ، فقال الرجل بان احدا لم يبق في المدينة كي يمنع العرب من دخولها، فتسورها العرب ودخلوها ؛ ولم يجدوا فيها الا بعض الاسرى فسأل العرب هؤلاء ، لماذا هرب سكانها ؟ فقالوا « بعث الملك اليكم يعرض عليكم الصلح فاجبتموه ؛ انه لا يكون بيننا وبينكم صلح ابدا حتى ناكل عسل افريذين(*) باترج كوثى : فقال الملك

(*) عند ابن الاثير « وما انكشفوا » .

(*) الفريدين او الفريدون او الفرندين : موضع بين الري ونيسابور [ابن رستة ـ ابو علي احمد بن عمر ـ الاعلاق النفيسة ـ مطبعة بريل ـ ليدن ـ ١٨٩١ ـ (١٩٩/٧) ، معجم البلدان (٢٠٠/١) .]

(*) لقد اختلفت الروايات التاريخية حول مقتل (زهرة بن الحوية) فمنهما من يرى انه استشهد في معركة القادسية ، ومنهما من يرى انه استشهد في حصار (بهر سير) ومنها من يرى انه عاش الى زمن الحجاج بن يوسف حيث قتله شبيب الخارجي ، ولكن المؤرخين الرواد كابن الاثير وابن عبدالبر وابن خلدون يوردون روايات مقتله كلها ، وبعضهم كابن الاثير يرجح مقتله في ايام الحجاج على يد شبيب الخارجي . وللواء الركن محمود شيت خطاب راي في هذا المجال ، حيث يشير الى ان ذكر زهرة لم يرد في معركة فتح المدائن ، ولا في معارك الفتح الاخرى ، التي بعدها مما يدل على انه جرح في معركة بهرسير ، وان جرحه كان بليغا جدا . وربما يكون هذا الجرح قد ولد له عاهة اعاقته عن مواصلة الفتوح ـ والا فهو رجل معروف بشجاعته في المعارك السابقة لبهرسير وليس من المعقول لو انه شارك في المعارك التي اعقبتها الا يترك اثرا؟ مشرفة يذكرها التاريخ ـ ولهذا يروي (خطاب) قصة استشهاد زهرة في معركة مع شبيب الخارجي وهو (زهرة) شيخ كبير خرج الى المعركة ـ في منطقة ساباط ـ بغية امداد الحجاج بخبرته القتالية ، فدارت الدائرة على جيش الحجاج وانهزم امام الخوارج فقتلت الخيل زهرة دهسا .

الا ان (كمال) انتبه الى ان هناك روايات تذكر خروج زهرة بعد معركة المدائن مباشرة على راس طليعة للمطاردة وجمع الغنائم ، التي فر بها الفرس حتى بلغ جسر النهروان . [الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٩/٤) ، ابن الاثير ـ المصدر نفسه ـ (٥١٠/٢) ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ـ المطبعة الاسلامية ـ

باواويله(*) ان الملائكة تتكلم على السنتهم ترد علينا وتجيبنا عن العرب ، والله لئن لم يكن كذلك ، ما هـذا الا شيء القي علي في هـذا الرجل لننتهي ؛ فارزوا (رجعوا) الى المدينة القصوى .) .

٥ ـ هذا ما وعد الله ورسوله :ـ

ولما دخل العرب (بهر سير) انزلهم سـعد فيها ، وتحول العسكر اليها ، وعندما حاول العرب العبور الى المدائن القصوى (طيسفون) التي لايفصلها عن (بهر سير) سوى نهر دجلة ، وجدوا ان الفرس كانوا قد سحبوا السفن من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي للنهر حيث جمعوها على طول مسافة تقع بين البطائح وتكريت . وكان النهر عريضا لا يسمح بالعبور .

ولما دخل العرب المسلمون بهر سير في جوف الليل لاح لهم وسط الظلام قصر كسرى في الجهة المقابلة من النهر فقال (ضرار بن الخطاب) « الله اكبر ابيض كسرى ! هذا ما وعد الله ورسوله . » وتابعوا التكبير حتى الصباح .(٣٠) .

وهنا نجد زلة اخرى للسير وليم ميور Muir ، حيث يشير الى ان سعدا هو الذي تاثر عند رؤية قصر كسرى فقال « الله اكبر ! ابيض كسرى ... » بدلا من ضرار(٣١) . وبقدر مايتعلق الامر بعدم فهم بعض المستشرقين لاحداث تاريخنا ، نجد ان هناك تحاملا من جانب اخر على احداث وشخصيات هذا التاريخ ، فالجنرال Gulbb يقول عن العرب الذين دخلوا مدينة سلوقية (بهر سير) من دون مقاومة « وجد البدو الحفاة العتاة ، وقد بدت عليهم الدهشة ؛ انفسهم احرارا في احتلال المدينة القديمة التي ظلت حاضرة للترف والفن والثروة والتجارة مدة الف سنة . »(٣٢) وهكذا ينتكر Gulbb لحضارة العرب ؛ بل وحتى للدين الاسلامي الذي هذب وشذب ارواحهم .

وهكذا سقطت (بهر سير) ويصف لنا Muir الموقف بعد سقوطها بقوله « ان قلب بلاد فارس انهار بصورة لا امل فيها » ثم يضيف « ومن ناحية اخرى فان نهر دجلة العميق والسريع كان لايزال يشكل خط دفاع متسع ضد اي هجوم مفاجيء »(٣٣) .

طهران ـ ١٣٧٧هـ (٢٠٦/٢) ، ابن عبدالبر ـ ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ القاهرة ـ بلا ـ (٥٦٥/٢) ، خطاب ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ ـ ، كمال ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٩ ـ ٣ .

(*) عند ابن كثير ـ يا ويلاه ـ (٦٤/٧) .

(٣٠) الطبري ـ المصدر نفسه ـ (١٦٩/٤ ـ ١٧٠) ، ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ـ (٥٠٩/٢ ـ ٥١١) ، ابن خلدون ـ المصدر نفسه ـ (٩٣٦/٢) ، الدوة المرجع نفسه ـ ص ٢٨٥ـ٢٨٦ ـ خطاب ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٨٥ـ٢٨٧ ـ ، كمال ـ المرجع نفسه ـ ص ٢٧ ـ ٢٩ ، ٣٣ ـ

(٣١) Gulbb Op. Cit. P. 202

(٣٢) Muir Op. Cit. P. 126.

(٣٣) Gulbb Op. Cit. P. 202.

Muir Op. Cit. P. 127.